الجامعة المستنصرية
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
قسم الدراسات التاريخية

# الصحف الليبية نشأتها وتطورها(١٨٢٧-١٨٩٧)
# (دراسة تاريخية)

د. سمير عبد الرسول العبيدي

## أولا- تعريف الصحافة وتطورها.

للصحافة دور بارز في مختلف النواحي فهي التي تبرز ثقافة المجتمع وهي التي تكون شاهدة حال على تقدم المجتمع السياسي والثقافي والاقتصادي وهي التي ترسم صورة المجتمع لكي يرى نفسه ويراه الآخرين من خلالها وقديما قالوا"إذا أردت أن تتعرف على حال المجتمع الثقافي فانظر إلى صحفه".

ويمكن القول أن التاريخ الثقافي ينقسم من زاوية مصادره إلى عهدين ؛أولهما عهد ماقبل الطباعة وماخلفه من وثائق ومخطوطات ،وثانيهما عهد المطبوعات المتعددة من الكتب والصحف والمجلات .ويعد نشاط النساخ المعروف قديما "بالوراقة" صورة نسبية مما نسميه اليوم حركة النشر.وبالرغم مما واجه هذه العملية من أوجه القصور؛فانه ينبغي أن ننظر إلى نتاج بعضهم من ذوي النشاط،والعلم،على انه جهد مشكور في النشر والتوثيق.

وتشكل الطباعة والمطبوعات(الكتب والصحف والمجلات)تحولا بارزا في مادة التاريخ الثقافي، بما أحدثه هذا التطور الكبير من انقلاب جذري في وسائل النشر، وما افرزه من نتائج جلية على مستوى التواصل الثقافي وتطور الأفكار وانتشار المعرفة، وهو ماتناوله بعض الباحثين بالدرس والتمحيص[١].

والصحافة لغة مشتقة من الصحف : جمع صحيفة، والصحيفة. كما شرحها ابن منظور (توفى ١٣١١م) في "لسان العرب".هي التي يكتب فيها. ولما عرف العرب الصحف في مطلع القرن التاسع عشر لأول مرة،كانوا يطلقون عليها لفظة "وقائع" أو جورنال JORNAL وهي كلمة فرنسية ؛وكان أول من استخدم لفظة "صحيفة" هو الصحفي اللبناني رشيد الدحداح(١٨١٣-١٨٨٤)، في حين كان احمد فارس الشدياق(١٨٠٤-١٨٨٨) صاحب جريدة "الجوائب"،أول من استخدم لفظة" جريدة " ،وهي مأخوذة عن الجرائد أي قضبان النخيل المجردة من خوصها .والتي كانت تستخدم في الكتابة لدى العرب القدماء[٢].

لقد انتشرت كلمة "غزته" أو "كازيطه" بمعنى صحيفة أو جريدة، وشاع استخدامها مع بداية ظهور أول جريدة في مدينة البندقية الإيطالية في عام ١٥٦٤ وكان سعرها يمثل قيمة العملة الفضية(**GAZZETT** )التي انتشر استعمالها في أوروبا

والبلاد الإسلامية وعندما نشأت الصحافة العربية، أُستخدمت الكلمة باعتبارها صناعة حديثة العهد عند الناطقين بالضاد وفي عام ١٨٨٠، جرى تحديد معنى المطبوع الدوري، بأنه كل الصحف والأوراق المؤقتة وهو التعريف الذي سبق وأُستخدم مصطلحاً خاصاً في قانون المطبوعات العثماني الصادر في عام ١٨٦٤" بأنه كل جريدة أو رسالة يومية أو -مؤقتة- دورية"[٣].

عرف العالم العربي الصحف لأول مرة عقب حملة الجنرال نابليون بونابرت(١٧٩٨-١٨٠١) على مصر في عام ١٧٩٨ ، أذ أمر باصدار صحيفتين فرنسيتين في الأسكندرية هما (Le currier d' Egypt) (بريد مصر) و ( La Decode Egyptienne) (العشرية المصرية) ، وصحيفة ثالثة باللغة العربية دعيت (التنبيه) وعهد بالأشراف عليها إلى أحد المصريين ويدعى إسماعيل سعد الخشاب[٤] ، لإذاعة المهم مما يجري في ديوان القضايا ، ونشر أوامر الإدارة العسكرية الفرنسية في مصر بين الأهالي ، وقد أستمرت في الصدور حتى انسحاب الفرنسيين من مصر في عام ١٨٠١ وبذلك تكون قد عاشت قرابة ثلاثة أعوام[٥] .

أتخذت مسيرة الصحف العربية ومنذ أنطلاقتها الأولى الصيغة الرسمية ، أذ تشير المصادر التاريخية إلى أن بعض الولاة العثمانيين كانوا يتنافسون في أصدار الصحف الناطقة بالتركية والعربية التي سخروها لخدمة أغراضهم الشخصية وأبراز ولائهم لسلطانهم ضماناً لاستمرار بقائهم. لذا نرى الصحف الرسمية او تلك المدعومة من قبل المستعمرين الأوروبيين تدوم لسنوات طوال ، اما المحاولات الفردية فكانت محدودة بسبب أرتفاع الكلفة المادية وقلة القراء جراء انتشار الفقر والأمية بين السكان ، فضلا عن محاربتها من قبل السلطات في حالة تبنيها لأتجاهات تناقض اتجاهاتها ، فتلاقي من جراء ذلك الأضطهاد وفرض الضغوط مما يؤدي إلى توقفها أو هجرة أصحابها إلى مكان آخر يبحثون فيه عن مناخ ملائم لأشباع رغباتهم وتحقيق طموحاتهم[٦] .

## ثانيا -الصحف الليبية وتطورها(١٨٢٧ - ١٨٩٧).

### ١.المنقب الأفريقي (١٨٢٧/٧/٣١).

كانت مدينة طرابلس الغرب هي الحاضرة الوحيدة التي يمكن وصفها بالمدينة بعدد سكانها البالغ ١٥.٠٠٠ نسمة أضافة إلى٢٠٠٠ نسمة من اليهود و١٠٠٠نسمة من الرعايا الأوروبيين والذين كان جلهم من التجار ، لذا كانت مرشحة وبقوة لتشهد ولادة الصحف الليبية ممثلة بصحيفة (المنقب الأفريقي) الناطقة باللغة الفرنسية من قبل المستشرق والأثري الفرنسي البارون جان بابتست روسو [٧] Jean-Baptiste (Rousseau )الذي أمضى جزءاً كبيراً من حياته بالعمل في بلاد فارس وأقاليم الإمبراطورية العثمانية ، فأتقن بعضاً من لغاتها، نخص بالذكر منها اللغة العربية ، وقد قدم بتاريخ ١٨٢٥/٧/٣٠ إلى المدينة كقنصل عام للأضطلاع بمهمة محددة ، هي حماية مصالح فرنسا في المنطقة ، ومحاولة الحد من النفوذ البريطاني فيها ، وإحلال النفوذ الفرنسي محله ، أذ كانت طرابلس الغرب ، شأنها في ذلك شأن كل من الجزائر وتونس ، تحت السيادة الأسمية للباب العالي ، و كان حكم الولاية من نصيب الأسرة القرمانلية (١٧١١ – ١٨٣٥) [٨]. وسرعان ما دخل روسو في خلاف شديد مع القنصل البريطاني الكولونيل فردريك وارنغتون [٩] Colonel Fredric ) (Warringtonوالذي تمتع بنفوذ كبير في البلاط القرمانلي .

وفي واقع الأمر أنه لاتوجد لدينا معلومات تذكر حول الموضوع باستثناء ما تضمنته مراسلات القناصل الأوروبيين ، وفي هذا الصدد يذكر القنصل الأسباني خوسيه غوميث ايرادور (J. Gomez Herrador ) إن صاحب الفكرة هو قنصل السويد غرايبرغ دي هامسو (Graberg de-Hemso ) وهو أديب وأكاديمي رصين ، إذ طرح في عام ١٨٢٥ فكرة أصدار دورية تنشر فيها أراء القناصل ولكنه ما لبث ان عدل عن الأمر بعد ان بين له ايرادور المشاكل التي قد تتسبب بها هذه الدورية ، ومع مجيء روسو عادت الفكرة للظهور وبرغم انه تلقى نفس النصيحة التي تلقاها سابقه إلا أنه أحجم هذه المرة عن الأخذ بها بل ووحد جهوده مع دي هامسو لإصدارها[١٠] .

صدر العدد الأول من الصحيفة بتاريخ ١٨٢٧/٧/٣١ . وهي صحيفة شهرية سياسية أدبية وفق ما ورد في رسالة روسو المؤرخة في ١٨٢٧/٨/٢الى احد أصدقائه في فرنسا والتي نشرت في مجلة الجمعية الجغرافية في باريس عام ١٨٢٧،المجلد الثامن ،ومما جاء فيها :

"منذ مدة مضت ، قمت بصحبة بعض الزملاء بتحقيق مشروع إنشاء صحيفة شهرية تعنى بشؤون السياسة والأدب . وقد وضع هذا المشروع في حيز التنفيذ . فصدر العدد الأول من (المنقب الأفريقي) عنوان الجريدة المذكور وذلك يوم ٣١ من الشهر الماضي . ولشديد الأسف أنني لم أتمكن من ان أرسل اليك نسخة منها ، لأننا – حتى هذا اليوم – لانقدر على أصدارها عن طريق الطباعة واكتفي اليوم أن أحدد لك المقالات الرئيسية التي ساهمت بها من جهتي وأمل ان أتمكن من إرسال نسخة من هذا (الكراس) أليك في أقرب فرصة قادمة حتى ولو كانت قيد التنفيذ"(١١) .

حظيت المنقب الأفريقي باهتمام كبير من قبل السلك القنصلي في طرابلس الغرب فقد كتب أيرادور رسالة بهذا الصدد إلى الدوق مانويل غونثاليث سالمون (nomlaS aelaznoC.M )الذي كان يتولى منصب أمانة الدولة ، وهو شخص مشهود له بالخبرة ، لأنه كان وزير أسبانيا في طنجة وأحد المهتمين بشؤون الشمال الأفريقي في أسبانيا، وقد أرخها في ٧٢٨١/٨/٥ ومما ورد فيها :

"يقتضي الأمر أن أخطر سعادتكم بأن دورية سياسة أدبية ، بعنوان المنقب الأفريقي صدرت مؤخراً في هذه العاصمة ، وبما أن لدينا هنا قنصلين حكيمين ، يتمتعان بحصيلة أكاديمية كبيرة ، فضلاً عن كونهما كاتبين مشهورين ، فأنه ليس غريباً ان يعمدا إلى نشر وتعميم ما يتمتعان به من معرفة وعلم ... غير أن القنصل الاخر ، وهو قنصل فرنسا الحالي ، لم يكن سهل الاقتناع بأفكاري كنظيره السويدي ، ... ، والتمس مني معاونته في تحريرها ، لكنني أعتذرت عن ذلك ، عندئذ رجاني أن أعده بأن القي نظرة على كافة الأعداد قبل صدورها ، وأن أبدي له رأيي فيها ، وهو ما اعتقدت بأنه يتعين علي ألا أرفضه ما دام يتبنى أحكامي التي

غالباً ما تتجه إلى التخفيف من أندفاعاته الزائدة ، ... وهذه الدورية التي ستصدر كل شهر ، يمكن أن تكون ذات اهمية كبيرة لمحبي الآداب الشرقية من خلال موادها المتنوعة الجيدة ، التي جمعها قنصل فرنسا العام من رحلاته في آسيا ، وأثناء أقامته الطويلة في بلاد فارس . كما يمكن ان تكون ذات اهمية بنفس القدر بالنسبة للمعلومات الكثيرة التي يعتزم المحرر نشرها عن الداخل الأفريقي ، والتي استقاها من المخطوطات العربية التي يجيد لغتها، ..."[١٢] .

ولتأكيد صدور هذه الصحيفة جاء في بيبلوغرافية دول الشمال الأفريقي الصادرة في عام ١٨٨٩ خبر مفاده :

"١٨٢٧ – المنقب الأفريقي : صحيفة صدرت لفترة قصيرة بطرابلس ، إذ كان روسو القنصل الفرنسي هو أحد المساهمين في إنشائها . وكان يحررها غرايبرغ دي هامسو" .

وعلى الرغم من ان احداً لم يتمكن من العثور على نسخة من هذه الصحيفة، إلا ان جميع الشواهد تشير إلى انها قد صدرت بالفعل وكل المصادر التي ذكرتها لاتدع الشك يحوم حول وجودها. وعدم العثور على نسخة منها يعود إلى كونها تخط باليد وهي نسخ قليلة من جهة ؛ وقصر المدة التي تواصل فيها إصدارها من جهة أخرى ولعل يوسف القرمانلي (١٧٩٥ – ١٨٣٢)[١٣] كان السبب وراء تعطيلها تحت ضغوط وارنغتون عدو روسو صاحب الصحيفة ودي هامسو رئيس هيئة التحرير فيها[١٤].

أسهم التجاذب السياسي في أنهاء مسيرة الصحيفة ، أذ على الرغم من ان دي هامسو كان قد أوفى بالتزاماته بكل دقة ، ونجح في عقد اتفاقيات تجارية ممتازة مع طرابلس الغرب ، إلا أنه وبالمقابل استسلم لضغوطات يوسف القرمانلي الذي عانى من ضائقة مالية مزمنة ، فتورط بالأقرار بديون مالية ملفقة بلغت قيمتها ١٠٠.٠٠٠ بيزو ، مما دفع بالحكومة السويدية إلى شن حملة بحرية على طرابلس الغرب في تموز ١٨٢٨ ، دون أحراز أية نتيجة ، كما دفع ذلك إلى سحب قنصلها تحت وطأة ضغوط بريطانية ، بعد ما دأب وارنغتون في مكاتباته إلى لندن على أتهامه بالانحياز إلى فرنسا ؛ الأمر الذي لم يكن بريطانيا لتقبل به ، بالنظر إلى انها

وليس فرنسا كانت تتولى رعاية مصالح مملكتي البلطيق في طرابلس الغرب ، وهما المملكة السويدية – النرويجية والمملكة الدنماركية ، فتم استبعاد دي هامسو وجرى تعيينه قنصلاً في المغرب في شهر آب ١٨٢٨[١٥] .

وبالرغم من أهمية الموضوع فقد أحجم بعض المؤرخين عن اعتبار صدور المنقب الأفريقي البداية لانطلاقة الصحف في ليبيا ، بالقول أن القناصل الغربيين بطرابلس الغرب قد أصدروا فيما بينهم في أواخر العصر القرمانلي ، عام ١٨٢٧، صحيفة يدوية مخطوطة محدودة الانتشار باللغة الفرنسية ، غير أن هذه الصحيفة يمكن أخراجها عن دائرة تاريخ الطباعة والصحف في ليبيا ، لأنها غير مطبوعة من جهة ، كما انها من جهة أخرى بلغة أجنبية ولاصلة لها بفعاليات الولاية[١٦] .

وهذا الرأي غير دقيق لأنه لم تكن هنالك مطبعة في طرابلس الغرب ، إضافة إلى أن غالبية الصحف التي صدرت في عالمنا العربي كانت باللغات الأجنبية لأسباب شتى ، واخيراً فانها كانت وثيقة الصلة بالأحداث المحلية بحكم أنها ظهرت نتيجة لحالة التجاذب السياسي القائمة وهو ما انعكس على طبيعة مكوناتها .

وبالانتقال إلى محتوياتها فأنها كانت صحيفة خاصة لفئة خاصة بمحيط خاص ، ذات طابع ولون معينين . ولم تكن مخصصة للقاريء العادي وليس بها رسوم ولاصور ولا إعلان ولا مقالات طوال . أنما كانت تحتوي على الأخبار العالمية وانباء الدول الكبرى ، وبجانب هذا اهتمت بالتنقلات الطارئة ضمن أعضاء السلك القنصلي ، ومقتطفات من نشاطهم ، وقدوم الجديد منهم ، ومختصرات عن سيرهم الذاتية ولمحات متنوعة عن الطبقة الأرستقراطية[١٧] .

**٢.إنشاء مطبعة الولاية وصدور طرابلس غرب ١٨٦٦/٩/٢ .**

كان من المتعين على السلطات العثمانية أن تعمد وعقب سقوط القرمانليين، إلى أنشاء مطبعة خاصة بالحروف العربية واللاتينية بهدف إصدار المطبوعات الرسمية فيها ، بالإضافة إلى أعادة طباعة الفرمانات التي كانت ترد من استانبول . وكذلك استجابة لمتطلبات البعثات الأوربية والتي كانت تطبع مستلزماتها في مالطا ولدى الطباعين الفرنسيين والإيطاليين ، وتذكر المؤرخة الأسبانية ماريا خوسيه بيلار(M. J.VILAR) أنها أطلعت على أول مطبوعة خاصة مؤرخة في عام ١٨٤٦ من دون ان يذكر فيها أسم الطابع أو المطبعة . ولكن ثبت أن المكتب البابوي والقنصلية الفرنسية من بين زبائن تلك المطبعة الطرابلسية الأولى ، ولاريب(والكلام مايزال لماريا خوسيه) في أن هنالك زبائن أقدم منهما[١٨] .

أن دراسة التشريعات القانونية النافذة في جميع المراحل التاريخية ، ومدى تأثيرها في تنظيم صدور الصحف واستمرارها أو توقفها ، يرتبط بمواد وقرارات ولوائح هذه القوانين ، من خلال تتبع المنهج التاريخي لتفهم الأحداث التاريخية والثقافية والصراعات السياسية الهامة التي تأثرت بها مسيرة الصحافة والصحف في طرابلس الغرب . وعلى هذا وفي إطار حركة التحديث والتحولات الإدارية والتي عرفت بالتنظيمات (١٨٣٩ – ١٨٧٦) إشارة إلى ما وضع بها من اللوائح والتشريعات . انتهت الإمبراطورية العثمانية إلى اختيار نظام الولاية اقتباساً من القانون الفرنسي ، وإصدار قانون الولايات (ولايت نظامنا مه سي) في ١٨٦٤/١٢/١٩ والتي بلغ عددها ١٠ ولايات في أوروبا ، و ١٦ ولاية في آسيا ، وولاية واحدة (طرابلس الغرب) في شمال أفريقيا[١٩] .

تضمن القانون الجديد وفي المادة التاسعة منه نصا خاصا بالمطابع والمطبوعات(مطبوعات نظامنامه سي)[٢٠] ،جرى العمل به فور صدور الفرمان المؤرخ في ١٨٦٥/٩/١ بتحويل طرابلس الغرب من ايالة إلى ولاية . فتم الشروع بتأسيس مطبعة الولاية لطباعة الأوراق الرسمية والقرارات وغيرها . وقد بدأت بمزاولة نشاطها في ١٨٦٦/٨/١٣ ، وهي مطبعة غير تجارية معفاة من الرسوم الجمركية مع الإشارة أن دورها لم يكن مقتصراً على نشر المعرفة والثقافة عبر ماتصدره من

مطبوعات فحسب ، أو للانتباه المتأخر لأهمية الصحف وفوائد الطباعة ذلك إن قانوناً بهذا الشأن صدر في العام ١٨٥٧ ؛ بل كان المراد به شمولية الإجراءات وتشابهها في تطبيق القوانين الحديثة على الإدارة العثمانية ، وهو ما يدل على توظيفها السياسي لمعرفة ما يدور في الولايات التابعة للإمبراطورية المترامية الأطراف ، حتى تثبت سلطة الإمبراطورية وتتلافى التهديدات التي تحدق بها من الدول الأوروبية وأطماعها في السيطرة على المنافذ البحرية والبرية للطرق التجارية ، وهو ما وضح تأثيره على صدور الصحف الرسمية في الولايات العثمانية بصفة عامة[٢١] .

وبتاريخ ١٨٦٦/٩/٢٠ ، صدر العدد الأول من صحيفة (طرابلس غرب) واستمرت في الصدور حتى العدد ١٣٦٣ المؤرخ في ١٩١١/٨/٢٢ أي قبل الاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب بأسابيع ، وحددت مهامها بإظهار الحوادث الداخلية والخارجية وكل نوع من المباحث العمومية ،وهي تصدر عن مركز الولاية داخل قصر الحكومة بالسرايا فهي أول صحيفة عربية تركية رسمية تصدر في ليبيا ، تنشر المراسيم السلطانية والقرارات الإخبارية الداخلية. كما أنها تقتصر على نشر الأوامر والوقائع والإعلانات والتوجيهات الرسمية كسائر الصحف في الإمبراطورية العثمانية ، إلى جانب نشر (شكاوى القراء واسترحاماتهم مجاناً) ولأنها صادرة عن حكومة الولاية ، فقد كان الاشتراك فيها إلزاميا على الموظفين ولعل هذا ما يبرر استمرارها لمدة طويلة . ويقوم على إدارة التحرير فيها بعض مأموري الحكومة المحلية ، فهي جريدة رسمية للولاية مزدوجة اللغة ، أما التحول للصدور باللغة العربية فقد كان بدءا من العدد ١١٣٨ في عام ١٩٠٥ ، في حين لحق التحول بالعنوان في ١٨٩٩/٩/٥ ليصبح (طرابلس الغرب) كما تغير تواتر الصدور من أسبوعية تصدر يوم الخميس من كل أسبوع لتصدر ثلاث مرات في ألأسبوع (الاثنين ، الأربعاء ، الخميس) . وهي لاتشير إلى بيانات مسؤولية النشر فيها وهي غير واضحة ، ولاتذكر أسماء هيئة تحريرها أو المسئول عنها[٢٢] .

وإلى جانب ذلك أصدرت الإدارة العثمانية أعداداً من (سالنامه) وهو الكتاب السنوي الرسمي الثاني، وظهر عددها الأول في ١٨٦٩/٤/١٣ واستمرت في

الصدور بشكل متقطع حتى العدد١٢ الذي صدر عام ١٨٩٤ ، وهي بمثابة تقويم إحصائي يطبع في المطبعة الحكومية، وتحوي تقاويم الوقائع السنوية والإحصائيات الرسمية ، التي يشترك في ترتيبها وأعدادها كل دوائر الحكومة وهي ذات قيمة تاريخية في مجموعها ، وتمثل ركنا من مصادر تاريخ تلك الفترة وإحصائياتها ومعلوماتها أصدق الإحصائيات وأغزر المعلومات بحكم طبيعتها الخاصة[٢٣] .

**٣.الترقي (أول صحيفة ليبية خاصة) ١٨٩٧/٦/٢٦ .**

بقيت المطبعة – إنكليزية الصنع – قرابة ٣٠ عاماً مشغولة بطبع (طرابلس غرب) الأسبوعية و (سالنامه) السنوية ، إلى أن تقدم الصحفي الليبي محمد

البوصيري ألأخضري[٢٤] بطلب إلى السلطات لاستصدار صحيفة خاصة ، فأجيب إلى ذلك[٢٥] .

صدر العدد الأول من (الترقي) في ١٨٩٧/٦/٢٦ وهي صحيفة سياسية شعبية أسبوعية تصدر باللغة العربية صباح كل سبت ، طبعت في مطابع الولاية من مقرها في السراي الحكومي ، والتزمت استعمال الألفاظ المشهورة والابتعاد عن المجاز وتجنب السجع والقافية مما شجع على ازدهار الكتابة فيها ، واحتوت دراسات حول تطور الحياة الفكرية ومقالات عن الحياة السياسية والحريات بشكل عام ، إذ كانت في الواقع صحيفة توجيه ورأي وفكر مع حرصها على المساهمة بقسط وافر في نشر الشعر ، وأضحت ملتقى تتشارك فيه أقلام الطبقات المثقفة والواعية من أهل الفكر والأدب من طرابلس الغرب ومن الدول العربية [٢٦] .

أما عن مواصفاتها الفنية حسب أعدادها الأولى ، فكان مقاسها في البداية (٤٣ × ٣٤سم) ثم أزداد تدريجياً إلى أن وصل إلى (٥٦ × ٤٠سم) ، في ٤ صفحات تسع الواحدة منها ٣ أعمدة ثم تغيرت إلى ٥ أعمدة ، وخطت جميع العناوين فيها بخط الثلث وجاء تحت ترويستها مباشرة أيضاً "جريدة سياسية علمية أسبوعية ، أنشئت سنة ١٣١٥هـ" ، أما الصفحات الداخلية فكان بها بعض العناوين الصغيرة المخطوطة يدوياً وهي جميعها أبواب ثابتة تتكرر في كل الأعداد : (أخبار محلية، حوادث خارجية،دار الخلافة ،مراسلات ، ...) وغيرها ، في حين ظهرت الإعلانات التجارية فيها بدءاً من العددين ٣٧و ٣٨[٢٧] .

استمرت الترقي في الصدور حتى العدد ٦٤ بتاريخ ١٨٩٨/١١/٢٣ إذ اضطرت للاحتجاب بسبب الصعوبات المالية التي واجهتها إضافة للمراقبة التي تعرضت لها من قبل السلطات بسبب تطرقها لمواضيع ذات طبيعة حساسة ، ولم تعد للظهور إلا في عام ١٩٠٨ ثم احتجبت نهائياً بسبب الغزو الإيطالي للبلاد في عام ١٩١١[٢٨] .

## ثالثا.حسونة الدغيس أول صحفي ليبي.

إن الذي نلمسه في تاريخ الصحافة الطرابلسية إنها ومن باديء أمرها كانت مهنة محترمة وفناً مبجلاً كان يقبل عليه أفاضل العلماء الذين نهلوا من علوم الأزهر أو الزيتونة والتي كان الموسرون يرسلون أبنائهم أليها ليعودوا لتولي مناصب أدارية مهمة ، وبجانب هؤلاء توجد طبقة أخرى من الكتاب والضباط ممن جذبتهم مهنة الصحافة ، ومن ذلك نستنتج انه كانت هنالك عوامل أساسية أسهمت في انطلاق مسيرة الصحافة ، وهي (المعاهد الدينية والصحف الشرقية والأجواء السياسية) بمعنى تأثير الأجواء السائدة في استانبول والقاهرة وغيرها من حواضر الشرق الإسلامي[٢٩] .

أما أول صحفي ليبي سبق الجميع وأصدر صحيفة بلغة أجنبية فهو حسونة محمد الدغيس (١٧٧٨ – ١٨٣٦) ، وتنحدر أسرته من أصل تركي من منطقة أرضروم . حيث تقلد الكثير من أفرادها مناصب عليا في البلاد . وقد شغل والده منصب وزير الخارجية خصوصاً في عهد يوسف باشا ، إذ كان صهراً له. وكان مثقفاً وملماً ببعض اللغات الأجنبية خصوصاً الفرنسية ، إلى جانب انه واسع الثراء[٣٠] .

وهكذا وعقب تحصيل قدر من الثقافة المحلية السائدة أرسله والده إلى أوروبا فاتيح له أن يتعلم اللغة الفرنسية ، ويطلع على الثقافة الأوروبية ، وأن يقف على مجريات السياسة الدولية . عاد بعد وفاة والده عام ١٨٢٤ إلى طرابلس الغرب ليخلفه في منصبه في العام التالي[٣١] .

أثار هذا التعيين وارنغتون واخذ يكن له العداء بسبب ثقافته الفرنسية وتطبعه بطابع الحياة الفرنسية ، وزاد من ذلك تعيين روسو قنصلاً عاماً لفرنسا ، واعتبر أن تعيينهما في هاتين الوظيفتين قد أسهم في تقويض النفوذ البريطاني في طرابلس الغرب ، وهنا حدثت قضية مقتل المستكشف البريطاني غوردون لاينج Gordon ( LAING )في ١٨٢٦/٩/٢٦[٣٢] وقد أتهم وارنغتون كلاً من الدغيس وروسو بالتواطؤ في الأمر وقد أدى ذلك إلى نشوب سلسلة من المنازعات الدبلوماسية أدت إلى لجوء الدغيس إلى بارجة أمريكية في ١٨٢٩/٨/١؛ ثم روسو الذي غادر

طرابلس الغرب إلى باريس في١٨٢٩/٩/٥بذريعة اعتلال صحته ولم يعد مرة أخرى [٣٣] .

لجأ حسونة الدغيس إلى تونس ثم إلى فاس ، إلى أن وصل إلى لندن ، وهنا عرض شكايته ضد وارنغتون على مجلس اللوردات البريطاني ، إلا أنه لم يجد أية استجابة[٣٤] وقد عانى أثناء ذلك من شظف العيش ، مما أضطره للعمل في الترجمة حيث قام في عام ١٨٣٣ بترجمة كتاب (المرآة) لمؤلفه الجزائري حمدان بن خوجه من التركية إلى الفرنسية ، وهذا الكتاب يعد بمثابة "الكتاب الأبيض" في المسألة الجزائرية . وفيما بعد تمت ترجمته إلى العربية وهو كتاب قيم ويعد بمثابة دائرة معارف للحقوق المدنية . وهكذا يمكن اعتبار حسونة الدغيس أول مترجم ليبي معروف ذكرته بعض المراجع المتخصصة في تاريخ الشمال الأفريقي[٣٥] .

وعقب انهيار الأسرة القرمانلية في ١٨٣٥/٦/١ وعودة الحكم العثماني المباشر ، وجد انه من المناسب السفر إلى استانبول حيث عكف على رفع عدة تقارير سياسية عن أوضاع واتجاهات السياسة الأوروبية ، وهي تفصح بحق ، عما كان يتمتع به من إلمام واسع بالمسائل السياسية بحكم خبرته السابقة[٣٦] .

وفي ١٨٣٦/٦/١٦ أسندت إليه مهمة تحرير النسخة الفرنسية المعروفة باسم Moniteur ottoman من صحيفة (تقويم وقائع) وهي الصحيفة الرسمية للدولة العثمانية . وقد قدر له أن يكون أول مثقف ليبي يعمل بالصحافة ، وإن كان ذلك في غير لغته وخارج بلاده[٣٧] .

والواقع أن المصادر التي ذكرت هذه الصحيفة قليلة جداً ، وربما يعود إلى انه لم يستمر طويلاً في عمله إذ أدركته المنية بتاريخ ١٨٣٦/١٢/١٧ ،وإن ذكرتها المصادر فلم يكن أكثر من "أنها جريدة فرنسية أصدرها حسونة الدغيس في اسطنبول عام ١٨٣٦" ولكن الشيء الذي يؤكد صدور هذه الصحيفة ، هو ما جاء في رسالة الدغيس إلى الباب العالي يحكي فيها ظروف الصحيفة بعد وفاة (مظهر أفندي) المسئول عن تحرير الصحيفة والذي كان قد "جلب من باريس رجلاً فرنساوياً حنكه الدهر ، عالماً بالحوادث له خبرة ودراية بالبوليتقية (أي السياسة) الوقتية ، لمخابرة جرنالات فرانسة ... وكذلك الجرنال الفرنساوي متوقف على أذن السيادة ،

لأن مواده حاضرة اليوم مدة شهر لم يطبع ، والخدمة الذين بالمطبعة ، معاشهم متوقف ، فوجب علي أعلامكم ..." .

ومن خلال الرسالة نتبين أن الصحيفة كانت تطبع بوسائل حديثة . وان المطبعة التي طبعت فيها كانت مطبعة خاصة ، ولها طباعون خاصون . كما ويحسب للدغيس حرصه على مخاطبة الرأي العام الفرنسي عن طريق الصحف التي اعتبرها الوسيلة الوحيدة "لترجيع الديار الشامية" و "توقيف الباغي عند حدوده" و "ترجيع الجزائر واستنقاذها من يد العدو الكافر"[٣٨] .

**رابعا.دخول المطبوعات العربية إلى ليبيا.**

إن أول صحيفة عربية دخلت إلى ليبيا هي صحيفة "الوقائع المصرية" ، وهي أول صحيفة مصرية صدرت وباللغتين العربية والتركية في عام ١٨٢٧، فقد أرسل منها أحمد الغربي وكيل طرابلس الغرب التجاري في الإسكندرية ، بضعة عشر عدداً من أعدادها الأولى بناء على طلب رئيس الوزراء محمد بيت المال أحد رجال الدولة المرموقين في اواخر العصر القرمانلي . وفي هذا الخصوص يذكر في ختام رسالته المؤرخة في ١٨٢٩/٦/٣ ما يلي :

"ومطلوبكم جانب كازيطات (جمع كازيطة) مصرية والأمر كذلك ، فانشاء الله نرسلوا لكم جميع الذي خرجوا شيء في شيء والذي يخرج من الان وصاعد ياتيكم أول بأول بعد ما نكمل لكم الذي خرج سابقاً ، وهاهو الواصل لكم طي هذا خمسة كازيطات..."[٣٩] .

أما عن دخول اول مطبوعة عربية إلى طرابلس الغرب ، فلايمكننا في واقع الأمر الجزم بتاريخ محدد لذلك ، ولكننا نجد بعض الأشارات إلى ذلك في أواخر العهد القرمانلي وهو أقدم ما وقفنا عليه ، ونذكر هنا اتصال رئيس الوزراء محمد بيت المال في رحلته إلى باريس عام ١٨٣٠ بمفكري فرنسا وأشهرهم المستشرق "سلفستر دي ساسي" (١٧٥٨ – ١٨٥٣) شارح المقامات الحريرية المطبوعة بباريس ، الذي أهداه نسخة منها مصحوبة برسالة عربية رقيقة .

تعكس هاتان الواقعتان من تاريخ طرابلس الغرب الثقافي ان السنوات الأخيرة من العهد القرمانلي قد شهدت بداية دخول المطبوعات العربية أليها (صحيفة – كتاب) وأغلب الظن انه كان لهاتين الواقعتين وغيرهما من الوقائع المماثلة بعض ردود الفعل على مجتمع العلماء آنذاك ، وذلك فضلاً عن ما تكشف عنه الواقعتان أيضاً من حصافة السياسي المعروف محمد بيت المال واهتماماته الثقافية ، وخاصة في حرصه المبكر على متابعة الصحيفة المصرية الأولى منذ بداية صدورها[٤٠] .

**خامسا .الخاتمة.**

منذ أن ظهرت الصحف الشعبية في عالمنا العربي وهي منبر عام لرجال الإصلاح وقادة الحركات السياسية والفكرية والاجتماعية،وكان الصحفيون في مراحلهم الأولى يبذلون قصارى جهدهم من اجل التعبير عن تطلعات الرأي العام بشتى السبل ، وان يكونوا بمثابة قادة أو مرشدين له يبصرونه بأحواله ويفتحون مداركه على حضارات الغرب وعلى ماله من حقوق في الحرية والاستقلال.

وعلى هذا ولكي تؤدي الصحف رسالتها يستلزم انتشارها بين قطاع واسع من أبناء الشعب ، وهو ما يستوجب توفر أربعة عوامل وهي الانتعاش الاقتصادي وانتشار التعليم وحرية الصحافة والتوزيع المنتظم.

لقد كان العالم العربي يرزح في مطلع القرن التاسع عشر تحت وطأة الاحتلال وهو ما ارتبط بعوامل الفقر والتخلف ،لذا كان من المستبعد أن نشهد بوادر نهضة علمية أو ثقافية بين ربوعه .وتبعا لذلك اتخذت نشأة الصحف الطابع الرسمي سواء من قبل القوى الأوروبية التي كانت تتصارع فيما بينها لاقتسام تركة الإمبراطورية العثمانية أو الجهات الحكومية التي سعت لتثبيت سلطاتها .

وفي واقع الأمر إن ليبيا لم تكن لتخرج عن هذه القاعدة إذ عرفت الصحافة الرسمية قبل الصحافة الشعبية ممثلة بصحيفة (المنقب الإفريقي) عام ١٨٢٧، وأعقبتها صحيفة (طرابلس الغرب) الرسمية عام ١٨٦٦ والتي ما كانت لتستمر إلى العام ١٩١١ لولا إن السلطات فرضت الاشتراك فيها على الموظفين خصوصا من ذوي المرتبات المرتفعة ؛وذلك لضمان دخل ثابت يساعد على استمرار صدورها.

وهكذا توجب الانتظار حتى العام ١٨٩٧لتصدر أول صحيفة خاصة في ليبيا.ولكن وعلى الرغم من الدعم الذي حظيت به من قبل الوالي، إلا أن تجميع مادتها الأولى وطباعتها وخروجها إلى حيز الوجود كانت دون شك عملية صعبة للغاية،إذ لم تكن لها مطبعة خاصة بها ،وهذا ماجعلها مرتبطة كلية بإدارة الولاية ومطبعتها القديمة.وقد لاحظ صاحبها وخلال عامه الأول إن دعم الصحيفة بالامكانات المطبعية وحده لا يكفي للاستمرار بالنشر؛فاجبر على التوقف.

**الهوامش.**

١. أديب مروه ، الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص١٣ – ١٤ .

٢. عمار جحيدر ، العدد الأول من صحيفة طرابلس غرب (١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م) ، ج١ . www.top-1y.com

٣. أحمد الفيتوري ، نشأة الصحافة في ليبيا ، www.elfada.com .

٤. كان إسماعيل الخشاب من خريجي الأزهر ،وقد كانت له اهتمامات أدبية متنوعة؛وعمل في المحكمة الكبرى في مصر،ولدى مجيء الحملة الفرنسية عمل في صحيفة التنبيه نظير راتب شهري.وبذلك يكون أول عربي يحترف مهنة الصحافة؛ توفي عام ١٨١٥وترك ديوان شعر صغير جمع بعد وفاته. أديب مروه، المصدر السابق،ص١٥٧-١٥٨.

٥. عبد العزيز سعيد الصويعي ، بدايات الصحافة الليبية ١٨٦٦ – ١٩٢٢ ، ط١، الجماهيرية العظمى ، ١٩٨٩ ، ص٣٣ – ٣٤ .

٦. المصدر نفسه، ص١٢ – ١٣ .

٧. البارون روسو (١٧٧٦ – ١٨٣١) . قنصل فرنسا في طرابلس الغرب للمدة (١٨٢٥/٧/٣٠ – ١٨٢٩/٩/٥) . وكان من المستشرقين الذين يشار اليهم بالبنان، بالاضافة إلى ذلك ، كان يحيط إحاطة كاملة بالعالم الإسلامي وأحواله، تمكن خلال أقامته من تكوين علاقات طيبة بعدد من المثقفين الطرابلسيين ، وكان من بين ممن كانت له علاقة وثيقة رئيس وزراء يوسف القرمانلي في ذلك الوقت محمد بيت المال ليكون له سنداً داخل قلعة طرابلس الغرب . www.top-1y.com .

٨. - تأسست الدولة القرمانلية على يد احمد باشا القرمانلي ( ١٧١١ - ١٧٤٥) ، وينتمي إلى منطقة ( قرمانيا ) الواقعة جنوب الأناضول . فهو عثماني الأصل ، جاء جده مصطفى إلى طرابلس الغرب كبحار في الأسطول العثماني أيام طرغود ريس ( ١٤٨٥ - ١٥٦٥) الذي نجح في احتلال طرابلس الغرب عام ١٥٥١ ، وقد رغب في استيطان العثمانيين بها ، واستقر مصطفى القرمانلي حيث تزوج من امرأة من سكان البلاد . للتفاصيل ينظر : د . حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٢ ، ص ١٨٢ - ١٨٦.

٩. العقيد فردريك وارنغتون : قنصل بريطانيا في طرابلس الغرب (١٨١٤ – ١٨٤٦) ، كان يتقن اللغة العربية اتقاناً تاماً وقد اظهر بذخاً وتبذيراً لم يكونا معهودين حتى ذلك الوقت ، وبنى قصراً فخماً في الضواحي اتخذه مقراً له . وقد رحل بعد احالته على التقاعد بسبب ضربه القنصل الأمريكي على مرأى من الناس في حادثة مشهورة www.top-1y.com .

١٠. ماريا خوسيه بيلار ، ولادة الصحافة في ليبيا ، بحث منشور بالأسبانية في مجلة أفريقيا ، المعهد الإيطالي لأفريقيا والشرق ، العدد٢ ، حزيران ٢٠٠٤ ، ترجمة محمد الفقيه صالح ، ص٢٢١ – ٢٣٠.http-eljwashy.2004.maktoobblog.

١١. عبد العزيزسعيد الصويعي ، المصدر السابق ، ص٧٤ .

١٢. ماريا خوسيه بيلار،المصدرالسابق .

١٣. نجح يوسف باشا من الوصول إلى الحكم عقب قيادته تمردا مسلحا ضد أخيه احمد.وقد واجه صعوبات جمة إثناء مدة حكمه تمثلت في التدخلات الخارجية والثورات الداخلية مما جعله في حالة حرب مستمرة.وهومادى لخلعه من سدة الحكم،ومن ثم سمح للعثمانيين بإعادة طرابلس الغرب إلى حكمهم المباشر عقب ذلك بثلاثة أعوام.للتفاصيل ينظر:محمد ناجي،محمد نوري،طرابلس الغرب،ترجمة أكمل الدين محمد إحسان ،طرابلس- ليبيا،دار مكتبة الفكر،١٩٧٣،ص١٨٢-١٨٨..

١٤. عبد العزيز سعيد الصويعي ، المصدر السابق ، ص٧٤ – ٧٥ .

١٥. ماريا خوسيه بيلار ، المصدر السابق .

١٦. عمار جحيدر ، المصدر السابق .

١٧. علي مصطفى المصراتي ، صحافة ليبيا في نصف قرن ، ط١ ، ليبيا ، دار الكشاف ، ١٩٦٠ ، ص٢٧ .

١٨. ماريا خوسيه بيلار، المصدر السابق .

١٩. عمار جحيدر ، المصدر السابق .للتفاصيل عن حركة التنظيمات العثمانية ينظر:د.علي محمد محمد الصلابي،الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط،ط١،المنصورة، مكتبة الإيمان،د.ت،ص٣٥٦-٣٦٢.

٢٠. بقي هذا القانون ساري المفعول حتى عام ١٩٠٩ حينما تم استبداله بآخر أكثر موائمة لروح العصر . للتفاصيل ينظر : عبد العزيز سعيد الصويعي ، المصدر السابق ، ص٨٥ – ٩٧ .

٢١. أسماء مصطفى الاسطى ، نشأة التشريعات القانونية للصحافة الليبية وتطورها ، www.almotamar.com

٢٢. احمد الفيتوري ، المصدر السابق .

٢٣. علي مصطفى المصراتي ، المصدر السابق ، ص٢٨ – ٣١ .

٢٤. من مواليد مدينة غدامس،انتقل بصحبة أسرته إلى مدينة طرابلس الغرب.تلقى دروسه في الأزهر،وعقب الاحتلال الإيطالي اعتزل العمل الصحفي.عبد العزيز سعيد الصويعي ، المصدر السابق ، ص٢٢٧-٢٢٨. .

٢٥. عبد العزيز سعيد الصويعي ، المصدر السابق ، ص١٨ .

٢٦. الصحافة العربية النشأة والتطور ،الجزء الثانى الصحافة الليبية /http://ramzi30.maktoobblog.com

٢٧. عبد العزيز سعيد الصويعي ، فن صناعة الصحف ، ط١ ، طرابلس ، الجماهيرية الليبية ، ١٩٨٤ ، ص١٥٧ – ١٥٨ .

٢٨. علي مصطفى المصراتي ، المصدر السابق ، ص٤٦ – ٤٧ .

٢٩. علي مصطفى المصراتي ، المصدر السابق ،ص١٩-٢٠.

٣٠. عبدالعزيز سعيد الصويعي ، المصدر السابق ، ص٢١ .

٣١. عمار جحيدر، المصدر السابق .

٣٢. وصل لاينج ، في شباط ١٨٢٥ ، موفداً من قبل وزير المستعمرات البريطاني إلى (تمبكتو) عن طريق طرابلس الغرب ، للحصول على موقع قدم لبريطانيا في وسط أفريقيا . وهو ما حمل اعيان تمبكتو على مراقبة تحركاته الاستكشافية ، ولدى مغادرته القي القبض عليه وتم قتله واحرقت اوراقه على الفور . مما أثار سلسلة من الأحداث أدت إلى تنازل يوسف باشا عن الحكم في ١٨٣٢/٨/١٢ . للتفاصيل ينظر : كوستانزيوبرنيا ، طرابلس (١٥١٠ – ١٨٥٠) ، ط١ ، تعريب خليفة محمد التليسي ، مصراته ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، ١٩٨٥ ، ص٢٧٥ – ٢٨٢ .

٣٣. جريمة في تمبكتو www.maktoobblog.com .

٣٤. عبدالعزيز سعيد الصويعي ، المصدر السابق ، ص٧٧. .

٣٥. www.libya.watanona.com

٣٦. www.trables.com

٣٧. عمار جحيدر ، المصدر السابق .

٣٨. عبد العزيز سعيد الصويعي، ، المصدر السابق ص٧٨.

٣٩. عمار جحيدر ، المصدر السابق .

٤٠. عبد العزيز سعيد الصويعي، ، المصدر السابق٦٤.